آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات

بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦

هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+

فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+

دولة الإمارات العربية المتحدة

السنة الثامنة : العدد الثاني والثلاثون - شوال ١٤٢١ هـ - يناير(كانون الثاني) ٢٠٠١ م

الغلاف

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

تفهرس المجلة في دليل أولريخ
الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. نجيب عبد الوهاب

سكرتير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

هيئة التحرير

د، نور الدين صغيري

د. محمد أحمد القرشي

أ. عبد القادر أحمد عبد القادر

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٣٠ درهماً
الأفراد	٦٠ درهماً	٧٥ درهماً
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن أراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

مطبعة دبي
DUBAI PRINTING PRESS

الفهـــرس

افتتاحية العدد

- التراث العلمي العربي الإسلامي بين جهل أبنائه وجحود أعدائه ٤

سكرتير التحرير

المقالات

- التراث الفقهي بين الثبات والتطور. ٦

أ. محمد دباغ

- تعليقات نقدية على آراء البارون ألفرد فون كريمر حول نشأة الفقه الإسلامي وتطوّره. ١٤

أ. الصديق بشير بن نصر

- وظائف التاريخ: منظورات فلسفية في التطوّر. ٣٠

أ. د. محمد الدعمي

- حوار في التراث العربي. ٤٢

أ. د. عباس مصطفى الصالحي

- مفهوم الشعر عند لسان الدين بن الخطيب. ٦٠

أ. سليمان القرشي

- منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة. ٧٢

د. الزواوي بغورة

- في نقد الاصطلاح البلاغي: التعليل وحسن التعليل: مصطلحان أم مصطلح واحد؟؟ ٨٨

أ. محمد إقبال عروي

- التراث اللغوي المغربي: أحمد بن المأمون البلغيثي نموذجًا. ٩٤

د. عبد الرحيم أخ العرب

- قصور صنعاء القديمة ماضٍ بائد أم حاضر واعد. ١٠٥

المهندس أيمن محمود عبدالله

- تحقيق المخطوطات والعمل الببليوغرافي. ١١٨

د. محمد عبود حسن الزبيدي

المقالات العلمية

- آفاق تراثية في الغذاء والدواء. ١٢٩

أ. سليمى محجوب

- العلاج الجراحي للأورام: السرطان في الطب العربي الإسلامي. ١٤٠

د. محمود الحاج قاسم محمد

- صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية. ١٤٧

د. علي جمعان الشكيل

- قلع الأسنان في التراث الطبي العربي. ١٥٥

د. محمد فؤاد الذاكري

التعريف بالمخطوطات

- مخطوطات نادرة: قطر السّيل في أمر الخيل. لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (المتوفى سنة ٨٠٥هـ). ١٦٣

أ. د. حاتم صالح الضامن

تعليقات

- تعليق على بحث: نحو تأسيس نظرية تلقٍّ قرآنية. ١٧٣

د. غازي مختار طليمات

التراث اللغوي المغربي

أحمد بن المأمون البلغيثي نموذجًا

الدكتور/ عبد الرحيم أخ العرب
جامعة سيدي محمد بن عبدالله
فاس - المغرب

مقدمة

إنَّ التراث ليس جهادًا ولا أرضًا مواتًا ، ولا مومياء محنطة ، يخيّم عليها السكون الرهيب غير المتناهي ، بل يعدّ مادّةً أساسية لكلّ باحثٍ ، ومرجعًا لتاريخ السلف ، هو في حقيقة الأمر ليس مادّةً عديمة الحيوية ، بل مهدًا وثيرًا لحضارة راقية وفعالية دائمة الاستمرار في مضيها. إنَّه شيء (لا يورث) وإنمّا ينبغي الاستحواذ عليه من خلال (جهدٍ كبير).

ونظرًا للأهمية التي تحتلها حروف الجرّ في اللغة العربية، من حيث تنوّعها وتعدّد معانيها، خصّها اللغويون بدراساتٍ عميقة طالتها بالتحليل والتفكيك، كما هو الأمر عند عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجّاجي (ت ٣٣٧هـ) في كتابه: (اللامات)، وعلي بن عيسى الرمّاني (ت ٣٨٤هـ) في كتابه: (معاني الحروف)، وعلي بن محمد الهروي (ت ٤١٥هـ = ١٠٢٥م) في كتابه: (الأزهية في علم الحروف)، وأحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ = ١٣٠٢م) في كتابه: (رصف المباني في شرح حروف المعاني)، والحسن بن القاسم المرادي (ت ٩٤٩هـ) في كتابه: (الجنى الداني في حروف المعاني).

وفي هذا السياق يبرز بوضوح وقوّة كتاب اللغوي المغربي العلاّمة الأديب أحمد بن المأمون البلغيثي (شرح على نظمه في حروف الجرّ)، الذي يتميّز عن غيره بخصائص فريدة ونظرات تحليلية دقيقة وثاقبة، تنبىء عن علوّ مكانته العلميّة وتضلعه في المعارف النحوية واللغوية، وكذلك ينطوي على منهجٍ علميّ متميّز، استطاع به المؤلّف - وبطريقةٍ

جدليّة – أن ينخّل المدرسة المشرقية، ويقوّم آراءها في معاني حروف الجرّ ودلالاتها، اعتمادًا على الأسس الأصوليَّة، والمسلّمات المنطقية، والأمور السياقيَّة التي يندرج ضمنها النحوي والديني والفلسفي والتأملي، وبذلك جاء فريدًا في بابه مثمرًا في عطائه، يحفل بمعلوماتٍ جديدة، توصّل إليها صاحبها مستفيدًا من القرآن الكريم، وأشعار العرب، وأحاديث الرسول ﷺ فأجاد فأفاد.

- المؤلف:

نشأته ووظائفه:

هو أحمد بن المأمون البلغيثي العلوي الحسني، المغربي وطنًا، الفاسي نشأةً ودارًا، المالكيّ مذهبًا، ولد في شهر رمضان عام ١٢٨٢هـ = ١٨٦٥م بفاس، وتربّى تربية محافظة، درس القرآن واستظهره، وانخرط في صفّ طلبة العلم بكلية القرويين، سنة ١٢٩٨هـ = ١٨٨٠م، بعد ذلك أدرج في سلك المدرسين الأفذاذ وكبار المفتين. ولي القضاء بالصويرة والعرائش والدار البيضاء، ثمّ مكناسة الزيتون، وهو آخر من كتب في الهندسة، وأوّل من درّس أحكام الإمام أبي بكر ابن العربي، وكان يقيم الدروس العلميّة في صحيح مسلم مع (الرسالة) بضريح الوليّ العربي بن سايح، و(الشمائل) بالزاوية التهامية[1].

شيوخه : تتلمذ البلغيثي على كبار العلماء مغاربةً ومشارقة، نذكر منهم:

من المغاربة : مولاي عبد المالك المدغري الضرير، (ت ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م).

- الأستاذ الحاج محمد كنون (ت ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م).

- القاضي أبو العباس أحمد بن سودة (ت ١٣١٦هـ = ١٨٩٨م).

- الأستاذ محمد بن التهامي الوزّاني (ت ١٣١١هـ = ١٨٩٣م).

- الأستاذ عبد الله البدراوي (ت ١٣١٦هـ = ١٨٩٨م).

- الأستاذ سيدي إمحمد القادري (ت ١٣٣١هـ = ١٩١٢م).

- الأستاذ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري (ت ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م).

ومن المشارقة: أبو الحسن علي ظاهر الحنفي الوثري، البغدادي أصلاً، المدني قرارًا ووفاة (قراءة وإجازة).

- الشيخ عبد الجليل أفندي برادة (ت ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) (قراءة وإجازة).

- الشيخ عثمان الداغستاني (إجازة).

- الشيخ بدر الدين الدمشقي (ت ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م (قراءة وإجازة)[2].

مؤلفاته

تجاوزت مؤلفاته الثلاثين، ما بين مطبوعٍ ومخطوط، فمن الكتب المطبوعة: الابتهاج بنور السراج (في جزئين): يشرح فيه قصيدة المساري في أدب طالب العلم، طبع في مصر. وشرح على نظمه في معاني حروف الجرّ، وبهامشه مختصر له، طبع طبعة حجرية بفاس، وإجابة اللهجة في شرح أبيات البهجة، وهو شرح لأربعة أبياتٍ ختم بها السيوطي بهجته على ألفية ابن مالك. ومن المخطوط: ديوان شعر في جزئين، لا يقلُّ الجزء منهما عن ٥٠٠ صفحة، مرتّبة على حروف المعجم[3].

آراء تلامذته فيه :

قال المرحوم محمد بن العبّاس القباج: «اشتغل بالأدب منذ صباه، مع ترامیه على دواوين الشعراء، جمع رقّة الأدب إلى وقار العلماء»(٤).

وقال عنه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي: «كبير الوجاهة، رفيع القدر، ميمون النقيبة، مسعود الحظ بمكانٍ من الملوك ورعايتهم وعنايتهم وبرهم»(٥).

وقال القيطوني: «شيخنا وشيخ كثيرٍ من شيوخنا، الفقيه العلاّمة، المدرّس النفّاعة، الدراكة، الفهّامة، المشارك، المطّلع، البحاثة، النقادة، الأديب، البليغ، الكاتب، الشاعر الفحل، القاضي، سلطان النجباء والأدباء، الفقيه النحوي، البليغ، الأصولي، البياني، الرحّال...»(٦).

وقال عبدالله بن العباس الجراري، وهو أحد تلامذته: «كان من علية العلماء الذين يحضرون مجالس الملك المرحوم المولى عبد الحفيظ، حتى إنّه لمّا عزم على رحلةٍ ثانية، يجمع فيها بين زيارة المساجد الثلاثة، لم يساعده العاهل المذكور؛ لمكانته العلمية وأبحاثه الدقيقة، وتحقيقاته المسلمة، وبعد هذا استعطفه بقصيدةٍ مؤثّرة، ممّا لم يجد معه بُدًّا من مساعدته، فرحل وتعرّف في رحلته هذه نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين»(٧).

٢ - مذهبه النحوي

نفقت بضاعة النحو في الأندلس والمغرب، وأقبل عليها مجموعة من علمائها، فنضج تفكيرهم في الشروحات والحواشي والتقريرات والتجريدات، واكتسبوا خبرة حفّزتهم على التفكير بعمق في تسوية التراكمات والخلافات النحوية، وبهذا حقّ وسم المدرسة الأندلسية - على الرغم من أنّ مفهوم المدرسة أو المذهب غير واضح - بالتوفيقية. ويمثّل «البلغيثي» حلقة مهمّة في هذه السلسلة، التي حاول تكملة صرحها من خلال اختياراته، التي ترتوي من معين المدرسة البصرية والكوفية معًا، آخذًا منهما ما رآه واردًا وظاهرًا، دون تحيّز لأيّ مدرسة، وإذا وقع الخلاف بين المدرستين يحاول المؤلف فكّ الخلاف بإصدار حكمٍ تنفيذيّ بعد تفحّص مواقف النازلة، ومن خلال وظيفته القضائية يحاول تصحيح مسار الأحكام النحوية، حتى يتمكّن النحو من التقدّم والتطوّر. فعلى سبيل المثال: تعرف جملة (ما أضرب زيدًا لعمرو) خلافًا، حيث ذهب البصريون إلى أنّ (اللام) للتعدية؛ لأن ضرب متعدّ في الأصل، لكنّه لمّا بني منه فعل التعجّب نقل إلى فعل فصار قاصرًا، فعدي بالهمزة إلى زيد، وباللام إلى عمرو. أمّا الكوفيّون فمذهبهم أنّ الفعل باقٍ على تعديته ولم ينقل، و(اللام) مقوّية للعامل لمّا ضعف باستعماله في التعجّب، فالبلغيثي أعطى الأوليّة للتعدية؛ لأنّ التقوية يصحُّ المعنى مع حذفها، والمثال خلاف ذلك(٨).

الكتاب :

الكتاب الذي نقوم بدراسته كما هو واضحٌ من عنوانه: شرح على نظمٍ في معاني حروف الجرّ، وبهامشه مختصر له. تمَّ الفراغ من كتابته ظهر يوم السبت الحادي والعشرين من جمادى الثانية من عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، وتمّ طبعه في فاتح ربيع النبوي عام ١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م (تكرّر طبعه)، يتكوّن من ١١٥ص؛ أي ١٤ (مَلْزَمَة)(٩) و ٣ صفحات.

محتوياته :

سنحاول البحث عن بعض السمات المميّزة التي تطبع المؤلف، وتلبسه حلّة متفرّدة، مستعينًا في ذلك بالسؤال عن طبيعة العلاقة التي تحكم مؤلّف البلغيثي بالكتب التي سبقته، هل هي علاقة نقل واحتواء، أو علاقة تجاوز وتصحيح؟ وأهم هذه الكتب: (كتاب

الحروف) للرماني، و(رصف المباني في شرح حروف المعاني) للمالقي، و(ارتشاف الضرب) لأبي حيّان، و(مغني اللبيب) لابن هشام، و(المطالع السعيدة) للسيوطي، و(الجنى الداني) للمرادي.

باب (من): صرّح الرمّاني بثمانية معانٍ، وأقرّ المالقي بوجود ستة معانٍ. أمّا المرادي فعدد معاني (من) لديه ستة عشر، وتقرّر لدى ابن هشام وجود خمسة عشر معنى فقط، لكن حسب ما رأيت من خلال صفحاتٍ متناثرة من كتاب (الأزهية) للهروي، تجمع لديه تسعة معانٍ، وفي (الارتشاف) تراجع أبو حيّان عن معنى - في - سيرًا على نهج أصحابه (ويقصد البصريين)، فأصبح عدد المعاني أحد عشر معنى. ونجد عند السيوطي في فريدته وشرحها المسمّى (المطالع السعيدة) أربعة عشر معنى، لكن «البلغيثي» أقرّ بوجود تسعة عشر معنى لـ (من)، يجعل الابتدائية نوعين، كما هو صنيع ابن مالك، والزائدة نوعين، كما هو صنيع صاحب المغني، والظرفية نوعين، قياسًا على الصنيعين المذكورين. أضاف البلغيثي زيادة على أصحاب الكتب التي وقف عليها ورود (من) بمعنى باء السببية ومثل له بقوله تعالى: ﴿**ممّا خطيئاتهم أغرقوا**﴾(١٠)؛ أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا. وضابطه جارٍ على ما فرّقوا به بين العلّة والسبب، فالعلّة تكون متقدمة على المعلول ذهنًا، متأخرة عنه أو مقارنةً له خارجًا، أمّا السبب فيكون متقدّمًا على المسبّب ذهنًا وخارجًا، ولهذا فالخطيئات سببٌ في الإغراق، وهي متقدمة عليه في الذهن(١١).

باب (اللام): جعل المرادي لام المستغاث به معنًى مستقلاً، خلافًا للبلغيثي، وتأوّل أبو حيّان وقوع (اللام) بمعنى: في وإلى وعلى ومن والتعليل، سيرًا على منهج أصحابه (ويقصد البصريين)، وأيضًا أدخل السبب والقسم ضمن معنى التعجّب. أمّا البلغيثي فقيّد معنى (من) بالابتدائية حسب ما ظهر له من الأمثلة التي استشهد بها، واكتفى بالتعجّب في موقع النداء خلافًا لزيادة ابن هشام، ثمّ عدّ لام الاستغاثة زائدة، وأخيرًا وجد معنًى آخر للام هو: (الباء) وهو أحد احتمالين في حديث الموطأ والصحيحين: (صلّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية) احتمل وقوع (اللام) للتعليل: أي لأجلنا، لكن لا يخفى أنّ الأقرب هو الأول؛ لأنّ الصلاة لم تكن لأجلهم، بل لأجل عبادة الله سبحانه(١٢).

باب (الباء): أنكر المرادي وجود التعجّب والتشبيه ضمن معاني (الباء)، وأدخل الأولى في التعدية، والثانية في السببية. وضرب أبو حيّان صفحًا عن معنى (من) التبعيضية، لكنّ البلغيثي أقرّ هذا المعنى، وسلك مسلكه في عدّ التعويض معنى غير زائد. وردّ البلغيثي اعتراض أبي حيّان على ابن مالك ما ذكره من: العوض والبدل للباء، بأنّه تكرار، وحجّته الفرق الذي اشتهر بينهما:

باء التعويض: هي الداخلة على مقابلة شيء بشيء، بأن يدفع شيء من أحد الجانبين، ويدفع من الجانب الآخر شيء في مقابلته.

باء البدل: هي الدالّة على اختيار أحد الشيئين على الآخر فقط من غير مقابلة من الجانبين(١٣).

٤ - منهجه في تناول الحروف

سار البلغيثي في مؤلفه على منهجٍ واحد وتقنية جديدة غير مستعملة من لدن سابقيه، فهو لم يتخذ من الترتيب المعجمي الهجائي منهجًا له، كما نجد عند الرمّاني، وابن هشام، والهروي، والمرادي، ولم يعتمد على الوظيفة الإعرابيّة للحرف أو طبيعته (مركب، مفرد) كما نجده عند المالقي، بل سلك طريقًا

آخر اعتمد فيه على الامتيازات التي يملكها الحرف، وهي حسب:

- الأوليَّة الدلالية.
- كثرة الاستعمال.
- عدد معانيه من الأكثر إلى الأقل، إذا انعدمت الأوليَّة الدلالية.
- تناسب الحروف في معنًى واحد.
- الأصل والفرع.

٥ - أسلوبه وعبارته

توسّل البلغيثي مجموعة من الأساليب لوّنت كتابته بملامح تتراوح بين ما هو بلاغي، وما هو أصولي، وما هو منطقي، عكست المرجعية الثقافية التي ينتمي إليها، والحدود المعرفية التي ينهل منها:

- **المستوى البلاغي:** شرح البلغيثي قول الله تعالى: ﴿**أولئك على هدًى من ربهم**﴾(١٤) بوجود تشبيه؛ لتمكّنهم من الهدى في كلّ أمورهم باعتلائهم عليه، كأنّه في طوعهم، حيث سرى التشبيه من مطلق التمكين والاعتلاء للاعتلاء الحسّي، فكانت الاستعارة تصريحيّة أصليّة في المصدر، تبعيّة في الحرف؛ أي في معناه الجزئي(١٥).

- **المستوى الأصولي:** مصطلح «التنبيه»: وهو مصطلح مستعار من مجال الفقه وعلم الأصول، يقصد به إرشاد القارىء إلى وجهٍ خفيّ من وجوه الدلالة في الكلام. فتارةً يكون بالتصريح، حيث يصرّح للمخاطب بعبارة ترفع الشكّ والاشتراك، وتنبىء بالمقصود مثلاً: التنبيه الأول، والثاني... إلخ. وفي بعض الأحيان يكون بالتلميح إليه بإشارة تستدعي من المخاطب إعمال الفكر لتحصيل المدلول كقوله: اعلم... فتأمله. أو: في شرح فلانٍ كلام معه، راجعه إن شئت...(١٦).

الاشتراك : مفهومٌ أصولي، اختلف فيه العلماء بين مؤيّدٍ لأحد نوعيه ورافضٍ له مطلقًا، وللبلغيثي موقفٌ موافق لوقوع الاشتراك في معنييه، بدليل قوله: «ولا مانع من حمل كلام ابن مالك على المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه، والأشهر جوازه كما مرَّ لنا»(١٧).

المستوى المنطقي: استعان البلغيثي في تثبيت القواعد والوقوف، أمام الخصوم ورد مذهبهم بمسالك حجاجية راهن على صلاحيتها ملتزمًا بآداب الجدال، فيمكن تحديد معالمهما كما يأتي:

التسليم الجدلي: أن يسلم ببعض قضايا خصومه؛ لكي يبرهن على ما يترتب عليها من كذبٍ أو محال(١٨). مثال: «اعلم، زاد الأشموني في شرح الألفية من معاني (الباء) التعليل... وزاد صاحب التصريح التفدية، فإذا زيد هذان المعنيان على الستة عشر التي في النظم كانت معاني (الباء) ثمانية عشر، لكن، أضربنا صفحًا عن هذين المعنيين؛ لدخولهما في بعض ما في النظم(١٩).

التفريق : أن يميّز في لفظ الخصم أو قوله بين معانٍ متباينة فيما بينها(٢٠). مثال: «نعم، الاعتراض على السيوطي في نظم الفريدة متوجه؛ لأنّه نصّ على أنَّ من معاني (من) التبعيض، إذ قال:

من ابتدىء بها وبين علل
بعض وللفصل أتت والبدل

ثمَّ ذكر أنّها تكون اسمًا مفعولاً به بقوله:

«**واما أتت مفعو نصٌّ**»(٢١).

أي مفعول نصٌّ في القرآن الكريم، وقال في شرحها: حيث كانت للتبعيض فهي في موضع المفعول به(٢٢). فحيث كانت الاسمية، هي التي

للتبعيض، فَلِمَ جمع بينهما فالجمع بينهما تكرار(٢٣).

المعارضة : أن يدلّل على نقيض مدلول الخصم، أو على نقيض إحدى مقدماته(٢٤). مثال: «نعم ذكر في المغني الآية ﴿**فأزلّهما الشيطان عنها**﴾(٢٥). استشهادًا بها على كون (عن) للتعليل، على احتمال عود الضمير للشجرة، وهي كما علمت – ممّا مرَّ من التفريق بين العلّة والسبب – سببية لا تعليليّة؛ لأنّ الأكل من الشجرة مقدّم على الزلل ذهنًا وخارجًا، ولهذا قلت في النظم: وسبب في آية(٢٦).

تقدير اعتراضات الخصم: أن يفترض معترضًا محتملاً بصيغة المفرد (قال)، أو بصيغة المبني للمجهول (قيل)، أو بصيغة الجمع (قالوا). مثلاً: قال في المغني في باب (من): إنَّ معنى الفصل في الآيتين فيه نظر، قال تعالى: ﴿**حتى يميز الخبيث من الطيّب**﴾(٢٧)؛ لأنّ الفصل مستفادٌ من العامل، والظاهر أنَّ (من) للابتداء أو بمعنى (عن). قلت: ولئن سلم أنَّ التي تقع بين متضادّين لا تكون إلاّ بعد عامل يقتضي نفسه ذلك، فلزومهما بعده أشَّر بها معناه، فدلّت تعيينًا، وهذا يكفي في المدّعي(٢٨).

النقض : أن يذكر شاهدًا يبطل دليل الخصم، وهذا الشاهد يذكر لبيان فساد دليل الخصم، فينزل منزلة الدليل الذي يبيّن تخلّف النتيجة في دليل الخصم. مثال: الفرق بين باء التعويض وباء البدل اعتراضًا على أبي حيّان الذي سبق ذكره.

٦ – موقفه من العلماء

الأخفش : ذكر زيادة (من) في الإثبات في قوله تعالى: ﴿**يغفر لكم من ذنوبكم**﴾(٢٩)، بدليل قوله تعالى: ﴿**إنَّ اللهَ يغفر الذنوبَ جميعًا**﴾(٣٠). ونحو ما سمع من قولهم: «قد كان من مطر»، لكنَّ البلغيثي أنكر عليه قوله بأن لا دليل فيه، فـ (من) للتبعيض، وموضوعها أمّة نبيّنا ﷺ التي خصَّها الله على الأمم بخصائص جمّة، أمّا المثال فيحتمل أنَّ فاعل كان ضمير عائد على كائن مأخوذ منها، أي قد كان كائن من مطر. فتكون (من) لبيان الجنس أو على الحكاية، كأن قائلاً قال: هل كان من مطر؟ فأجيب: قد كان من مطر، فزيدت (من) في جواب الاستفهام؛ ليتطابق الجواب مع السؤال، فتكون مزيدة في شبه النفي والاستفهام(٣١).

– وفي موضعٍ آخر أنَّ (من) للتبعيض، ولا يوجد تنافٍ في الآيتين السابقتين؛ لأنَّ في الأولى من قبيل الموجبة الجزئية ولا ينقضها إلاّ السالبة الكليّة لا الموجبة الكليّة(٣٢).

ابن هشام : صحّح البلغيثي مثالي ابن هشام «وهبت لزيدٍ دينارًا وأعطيته دينارًا»(٣٣)؛ لأنَّ التمليك مُستفادٌ من الفعل، وليس من (اللام)، بدليل إفادة التمليك وصحة المعنى مع حذف (اللام)؛ لذا وجب التمثيل للتمليك بـ «جعلت لزيد دينارًا»(٣٤).

الأزهري : زاد صاحب التصريح التفدية في معاني (الباء)(٣٥)، لكنَّ البلغيثي ضرب صفحًا عنه لدخوله في معنى الاستعانة(٣٦).

ابن مالك : اعترض عليه البلغيثي بدأ نظمه بالتبعيض في معاني (من)، فالأنسب والأولى أن يتقدّم معنى الابتداء على باقي المعاني أولى، اللهم إلاّ أن يقال إنه ذهب مذهب: أنَّ الأصل في معاني (من) التبعيض، وهو مذهبٌ ضعيف(٣٧).

يظهر من هذه الأمثلة أنَّ البلغيثي عمل على تقديم الآراء السابقة عليه وتنخيلها وتصفيتها وترتيب ما تشابه وأشكل، متسلّحًا بموسوعيّة في التكوين وقوة معرفيّة، أكسبته دربة في بناء صرح الائتلاف بعد أن يتعقّب الرأي الشاذّ، ويفسد عليه حجته.

٧ - **المنهج :**

سلك البلغيثي إجراءاتٍ وقائية كمنهجٍ للضبط والتحليل، وهما اثنان:

أ - أغلق باب التأويل الخارج عن الأصل: فما ورد على الأصل لا يؤول بحمله على غير الأصل(٣٨).

ب - ردّ الاحتمال بما هو ظاهر:

وهذا ملمحٌ لمذهبٍ كان منتشرًا في المغرب الأقصى، وهو المذهب الظاهري، وخير من مثله بشكلٍ صريح: ابن مضاء القرطبي في كتابه «الردّ على النحاة».

منع البصريون وقوع (عن) للمجاوزة، وتأولوا بيت العجاج:

ومنهل وردته عن منهل

وردته صادرًا عن منهلٍ آخر، ولا يخفى ما في ذلك من تكلُّف»(٣٩).

يصحُّ التأويل في الآية: ﴿**ومن يبخل فإنَما يبخل عن نفسه**﴾(٤٠)، كون (عن) فيها للمجاوزة؛ أي ومن يبخل فإنّما يجاوز السماح عن نفسه، أو إنّما يمنع الخير عن نفسه؛ لأنَّا قدّمنا في تعريف المجاوزة: أنّه بعد شيءٍ مذكور أو غير مذكور؛ أي بل لازم فقط كما هنا(٤١).

منع بعضهم وقوع (من) للمجاوزة في قوله تعالى: ﴿**لقد كنت في غفلةٍ من هذا**﴾(٤٢)؛ أي عنه، وتأوله بالابتدائية، وإن كان خلاف الظاهر، فالظاهر جعلها بمعنى (عن)؛ لأنّ غفل يتعدّى بـ (عن)، فالتأويل فيه خروجٌ عن الأصل(٤٣).

٨ - **مصادره :**

- الابتهاج بنور السراج، لأحمد بن المأمون البلغيثي.
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيَّان الأندلسي.
- إكمال الإكمال في شرح مسلم، لمحمد الأبي (التونسي).
- إملاء ما منَّ به الرحمن، أو التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام.
- الآيات البيّنات على شرح جمع الجوامع، للمحلّي، لأبي القاسم العبّادي.
- البحر المحيط: لأبي حيَّان الأندلسي.
- البغداديات، لأبي علي الفارسي.
- تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العُجاب، للشيخ داود الأنطاكي.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لجمال الدين ابن مالك.
- التصريح بمضمون التوضيح، لخالد الأزهري.
- تفسير القرآن، للثعلبي.
- جمع الجوامع في الأصول، لابن السبكي عبد الوهاب.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، لعلاء الدين الأربيلي.
- حاشية على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي، لشهاب الدين الخفاجي.
- حاشية على توضيح ابن هشام، للشيخ الطيّب بن كيران.

- حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للصبان.
- حاشية على شرح التوضيح، للشيخ يس العليمي.
- حاشية على شرح المحلّي على جمع الجوامع، لبناني.
- حواشي المحلّي.
- حواشي الفاكهاني، للشيخ يس العليمي.
- حاشية على المغني، للأمير.
- حاشية على المغني، للدسوقي.
- حاشية على المغني، للشمني.
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، للبغدادي.
- الخلاصة، لابن مالك.
- درّة الغواص في أوهام الخواص، للحريري.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي.
- شرح ألفية ابن مالك، لابن عقيل.
- شرح ألفية ابن مالك (المسماة)، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، للأشموني.
- شرح ألفية ابن مالك، (الخلاصة)، لابن الناظم.
- شرح التسهيل، لابن مالك.
- شرح جمع الجوامع، للمحلّي.
- شرح شواهد الأشموني على ألفية ابن مالك (المسمّى بالمقاصد النحوية)، للعيني.
- شرح على متن المغني، للدماميني.
- تاج العروس، شرح القاموس، للمرتضى الزبيدي.
- شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي.
- شرح الكافية، لابن مالك.
- شرح اللباب، للإسفراييني.
- سنن أبي داوود، لأبي داوود.
- الصحاح، للجوهري.
- صحيح البخاري، للبخاري.
- صحيح مسلم، لمسلم.
- عمدة القارىء في شرح صحيح البخاري، للعيني محمد بن أحمد.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.
- الفريدة، للسيوطي.
- فقه اللغة وسرّ العربية، للثعالبي.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي.
- الكافية، لابن مالك.
- الكتاب، لسيبويه.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري.
- الكوكب الساطع، للسيوطي.
- المخصّص، لابن سيدة.
- المطالع السعيدة، للسيوطي.
- المطول على التلخيص، لسعد الدين التفتازاني.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام.
- الموطأ، للإمام مالك.
- نتائج الفكر النحوي، للسهيلي.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي.

٩ - النظم :

الحمد لله على أفضاله
ثمَّ صلاة للنبيّ وآله

وبعد خذ نظمًا كفيلاً بالمرام
يكفيك عن بحثٍ لما له يُرام

فيه معاني ذي الحروف الخافضة
إيّاك أن تكون يومًا رافضه

بعض وبين وابتدىء في الأمكنة
بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة

وزيد في نفي وشبهه فجر
نكرة كما لباغ من مقر

كذاك للبدل والظرفيّة
وهكذا التعليل والتعليّة

ثمَّ تجاوز بلا امتراء
كذاك قد تأتي للانتهاء

والفصل أيضًا وكذا الموافقه
للباء أو عند فكن موافقه

وزد بمعنى رب ثم الغاية
وقسمًا فكن أخا عناية

للانتهاء إلى وزد ظرفية
ثمَّ بمعنى من كذا المعية

وزد بمعنى عند والتبيينا
كذا بمعنى اللام خذ يقينا

كذاك للتوكيد والتعجّب
فَدْنُ هداك الله للرقيب

حتى للانتهاء والتعليل
كذا للاستثناء يا خليلي

واللام للملك وشبهه وفي
تعدية أيضًا وتعليل ففي

وزيد ثمَّ الانتها بها زكن
كذا لتقوية عامل يهن

كذاك للقسم والتعجّب
وللمصير وكذا للنسب

ثمَّ بمعنى بعد في واستعلاء
كذاك للتبيين والإنهاء

كذا بمعنى في ومع وعند من
وعن وتمليك وشبهه يعن

قلت والمعنى البا كذلك أتى
به حديث في الصحاح مثبتا

بالباء[٤٤] استعن وعد عوض ألصِقْ
ومثل مع ومن وعن به انطق

وزيد والظرفية استبن به
كذا الاستعلا فكن منتبها

وقَسَمًا أبدت وتأتي للبدل
وسببية وغاية الأمل

وأظهر الظرف بفي كذا السبب
كذاك الاستعلا ومعنى مع وجب

ولـــلـــمـــقـــايـســـة والـــزيـــادة
ومـــن وبـــا وعـــوض الإفـــادة

كـذاك لـلـتـعـلـيـل زد مـعـنـى إلى
فـهـاك مـعـنـاهـا أخـي مسـتـكـمـلاً

عـلـى لـلاسـتـعـلا ومـعـنـى في وعـن
ومـع والـلام وعـنـد فـاحـفـظـن

ومـــن وبـــاء ولـــتـــعـــويضٍ أتت
ومـــثـــل لـــكـــن ولـــزيـــدٍ وردت

بـعـن تجاوزا عـن مـن قـد فـطـن
وبـعـد أيضًـا وعـلـى وعـلـلـن

ووردت أيضًـا بمعـنـى الـبـاء ومـن
وبـــدل كـــذا اســـتـــعـــانـــة تـــعـــن

وقـــد أتت لـــلـــظـــرف والـــزيـــادة
وعـــــوض وســـــبب في آيـــــة

شـبـه بـكـاف وبـهـا الـتـعـلـيـل قد
يـعـنـي وزائـدًا لـتـوكـيـدٍ ورد

كـذا الاسـتـعـلا ولـلـمـبـادرة
وقسـم وبـعـضـهـم قـد نـاكـره

مـذ ومـنـذ في المضـي لـلابـتـدا
هـمـا وفي الحضـور مـعـنـى في بـدا

ووردا مـــوضـــع مـــن مـــع إلى
إن جـرّتـا المعـدود حـيث جـهـلا

مـتـى كـمـن وفي لـعـل لـلـمـرتجي
خـلا عـدا حـاشـا لـلاسـتـثـنـاء تجي

وربّ لـلـتـكـثـير في الـكـثـير
كـذاك لـلـتـقـلـيـل في الشـهـير

والـواو والـتـا أتـيـا لـلـقـسـم
وكـي لـتـعـلـيـل فـحـصـل وافـهـم

فـدونك الـنـظـم الـذي ألمّا
بـذي الحروف إن تـزد فضُـمـا

فـالحمـد لـلـه عـلـى الـتـمـام
ثـمَّ صـلاتـي لـلـنـبـيّ الـتـهـامـي

وآلـه الـغـرّ الـكـرام ثـمَّ مـن
تـلاهـم طـرًّا لآخـر الـزمـن

هذا النظم من الرجز التام[٤٥]، لم يوضع لسرد الحروف بل لذكر معانيها، لم يقصد به إلاّ بيان حروف الجرّ العشرين التي سردها ابن مالك في الخلاصة في قوله[٤٦]:

هـاك حـروف الجر وهـي مـن وإلى
حـتـى خـلا حـاشـا عـدا في عـن عـلـى

مـذ مـنـذ ربّ الـلام كـي واو تـا
والـكـاف والـبـا ولـعـلّ ومـتـى

يمتاز هذا النظم بكونه لم يأتِ تلخيصًا لألفية ابن مالك كما نجده في الفريدة للسيوطي. ولا مجتهدًا ومتكلّفًا في نظم بعض المعاني وترك أخرى.

وهذا النظم غير تعليمي، صعب الحفظ، غير مستقيم، انظره إن شئت في كتاب الجنى الداني لحروف المعاني، لمؤلفه المرادي، بل جاءَ مبيّنًا وشارحًا لبيتين في الألفية، فاتحًا باب الاجتهاد على مصراعيه بقوله: «وإن تزد شيئًا من المعاني فضمّه، لما ذكرناه وانسبه لنفسك تذييلاً[٤٧]. ●

الحواشي

١ – انظر: تشنيف الأسماع للبلغيثي: ٢٢/١، والتأليف ونهضته بالمغرب: ٦٥/١.

٢ – المصدر السابق نفسه: ٤/١، ٦٥/١.

٣ – معجم المطبوعات المغربية: ٣٩ – ٤٠. المطبوعات الحجرية بالمغرب: ١٣٥ – ١٣٦. معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ٥٨٧/٤.

٤ – الأدب المغربي في المغرب الأقصى: ١٥/١.

٥ – معجم الشيوخ: ١٣٤/١.

٦ – معجم المطبوعات المغربية: ٣٩.

٧ – التأليف بالمغرب: ٦٣ – ٦٤.

٨ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٣٩ – ٤٠.

٩ – الملزمة تعادل ٨ صفحات.

١٠ – نوح : ٢٥.

١١ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٥٠ – ٦٣.

١٢ – المصدر السابق: ٣٧ – ٥٠.

١٣ – المصدر السابق: ٥٠ – ٦٣.

١٤ – البقرة : ٥.

١٥ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٧٤.

١٦ – المصدر السابق: ٣٤.

١٧ – المصدر السابق: ٥٣. وانظر: تسهيل الحصول على قواعد الأصول: ١٣٢ – ١٣٦.

١٨ – تجديد المنهج في تقويم التراث: ١٩٦.

١٩ – المصدر السابق: ٦٢.

٢٠ – المصدر السابق: ١٩٦.

٢١ – ألفية السيوطي النحوية المسماة (بالفريدة): ٤٤.

٢٢ – المطالع السعيدة: ٤١١.

٢٣ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٢٤.

٢٤ – تحديد المنهج في تقويم التراث: ١٩٦.

٢٥ – البقرة : ٣٦.

٢٦ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٨٩.

٢٧ – آل عمران: ١٧٩.

٢٨ – شرح نظم معاني حروف الجر: ١٩.

٢٩ – الأحقاف : ٢١.

٣٠ – الزمر : ٥٣.

٣١ – شرح نظم معاني حروف الجر: ١٢.

٣٢ – المصدر السابق: ١٣، الموجبة الكلية كقولنا: بعض الحيوان إنسان، السالبة الكلية: نقيضها: كلّ الحيوان ليس إنسان.

٣٣ – المغني : ١٦٤/١.

٣٤ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٤٩.

٣٥ – التصريح على التوضيح: ١٦/٢.

٣٦ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٦٢ – ٦٣.

٣٧ – المصدر السابق: ٤ – ٧.

٣٨ – المصدر السابق: ٥٩.

٣٩ – المصدر السابق: ٦.

٤٠ – محمد : ٣٨.

٤١ – شرح نظم معاني حروف الجر: ١٨.

٤٢ – ق : ٢٢.

٤٣ – شرح نظم معاني حروف الجر: ١٨.

٤٤ – في الابتهاج: ١٣٣/٢ زيادة: وزاد بعضهم لها التفدية، والظنّ أنّها من التعدية.

٤٥ – شرح نظم معاني حروف الجر: ٢.

٤٦ – الألفية لابن مالك: ٣٤.

٤٧ – شرح نظم معاني حروف الجر: ١١٣.

المصادر والمراجع

- **الألفية**، لابن مالك، محمد بن عبدالله.
- **ألفية السيوطي**، عبد الرحمن بن أبي بكر.
- **تجديد المنهج في تقويم التراث**، لطه عبد الرحمن.
- **تسهيل الحصول على قواعد الأصول**، لمحمد أمين سويد الدمشقي.
- **التصريح على التوضيح**، لخالد الأزهري.
- **شرح على نظم معاني حروف الجرّ**، لأحمد بن المأمون البلغيثي، طبعة حجر.
- **المطالع السعيدة شرح الفريدة**، للجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر.